

www.seiraj.com

الأدلة من القرآن على عدم العذر بالجهل في الشرك الأكبر

كتيّب مصوّر

قال تعالى [الأعراف ٣٠]:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

وفيه أنه لا يُشترط قصدُ الكفر، بل الجاهل والمعاند سواء.

قال الزجّاج: «يدلّ على أن قومًا ينتحلون الإسلام ويزعمون أن من كان كافرًا وهو لا يعلم أنه كافر فليس بكافر، مُبْطِلون لأمر نِحْلتهم؛ لأن الله جلّ ثناؤه قد أعلمَنا أنهم يَحْسَبون أنهم مهتدون، ولا اختلاف بين أهل اللغة في أن الحُسْبان ليس تأويله غير ما يُعْلم من معنى حسب».



وقال أبو جعفر: «يقول تعالى ذِكره: إن الفريق الذي حقّ عليهم الضلالة، إنما ضَلوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نُصَراء من دون الله وظُهَراء جهلًا منهم بخطأ ما هُم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهُم يظنون أنهم على هدًى وحقّ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا، وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذِّب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادًا منه لربه فيها؛ لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلّ -وهو يحسَبُ أنه هادٍ- وفريق الهدى فَرْقٌ، وقد فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية».



قال تعالى [التوبة ٦]:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾

قال الطبري: «يقول تعالى ذِكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك -وهو القرآن الذي أنزله الله عليه-... ﴿فَأَجِرْهُ﴾، يقول: فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه... ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، يقول: ثم ردّه بعد سماع كلام الله إن هو أبى أن يسلم ولم يتّعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه... ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن وردّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوزر والإثم لتركهم الإيمان بالله».

وقال البغوي: «﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾، فيما له وعليه من الثواب والعقاب... ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون دين الله وتوحيده فهُم محتاجون إلى سماع كلام الله. قال الحسن: هذه الآية مُحكمة إلى قيام الساعة».





قال تعالى [البينة ١]:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾

قال البغوي: «﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهُم اليهود النصارى، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾، وهُم عبدة الأوثان، ﴿مُنفَكِّينَ﴾، منتهين عن كفرهم وشركهم، وقال أهل اللغة: زائلين منفصلين، يقال: فككت الشيء فانفكّ أي انفصل، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لفظُه مستقبَل ومعناه الماضي، أي حتى أتتهم الحجة الواضحة، يعني محمد ﷺ أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإسلام والإيمان. فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبَر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان، فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضّلالة».



قال تعالى [الأعراف ١٧٩]:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

قال مجاهد: «﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾، قال: لا يفقهون بها شيئًا من أمر الآخرة، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾، الهدى، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾، الحقّ، ثم جعَلهم كالأنعام سواءً، ثم جعَلهم شرًّا من الأنعام فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، ثم أخبَر أنهم هُم الغافلون».

فعَطَّل الله عن المشركين وسائل الإدراك، وجعَلهم بمنزلة الأنعام بل هُم أضلّ، وجعَلهم من أهل الغفلة ومن أهل النار.



قال تعالى [الحج ٨-٩]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾

فجعَل الله مصير الجاهل الذي يُضلّ الناس بغير علمٍ نار جهنم، فأثبت الله الضّلال مع الجهل ورتّب عليه عذاب الحريق.

قال الطبري: «يقول تعالى ذِكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علمٍ منه بما يخاصم به، ﴿وَلَا هُدًى﴾، يقول: وبغير بيانٍ معه لما يقول ولا برهان».



قال تعالى [المؤمنون ١١٧]:

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾

قال يحيى بن سلّام: «﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، لا حجة له به».

أي: سماهم الله كافرين لعبادتهم غير الله بغير حجةٍ ولا علمٍ، أي: بجهل، وفيه دلالة صريحة على تكفير المشركين الجاهلين.



قال تعالى [الأنبياء ٢٤]:

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾

ووجهُ الدلالة، أن الله ذكر أن سبب إعراض الكفار عن الحقّ هو جهلهم وعدم معرفتهم به.

قال الطبري: «يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلَمون الصّواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذَرون، فهم معرِضون عن الحقّ جهلًا منهم به وقلّة فَهْم».



قال تعالى [الحجرات ٢]:

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

وفيه دلالة أن العبد قد يأتي من الأقوال أو الأعمال أو الأفعال ما يحبط عمله بها وهو لا يعلم ولا يدري.

قال الطبري: «يقول: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وأنتم لا تعلمون ولا تدرون».

وقال السمعاني: «وقوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، أي: لا تعلمون بحبوط الأعمال».

قال تعالى [النمل ٨٣-٨٥]:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾

فسمّى الله جهلهم بآيات الله ظلمًا ولم يسمه عذرًا.

قال تعالى [البقرة ١٧٠-١٧١]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

وفيه أن تقليد الآباء الذين لا يعقلون هو مستمسَك المشركين في الاتّباع، ولم يعذرهم الله بل كفّرهم فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذِكره لهؤلاء الكفار: فكيف أيها الناس تَتّبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتتركون ما يأمرُكم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمرِ الله شيئًا، ولا هُم مصيبون حقًّا، ولا مدركون رشدًا؟ وإنما يَتّبع المتّبعُ ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأمّا الجاهل فلا يتبعه -فيما هو به جاهل- إلا من لا عقل له ولا تمييز».

قال تعالى [الأنعام ١٣٧]:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

فسمّاهم الله مشركين قبل مجيء الرسالة، وفيه دلالة واضحة أن اسم المشرك يثبت قبل الرسالة.

قال ابن تيمية: «فاسم المشرك ثَبَتَ قبل الرسالة؛ فإنه يشرك بربه ويَعدل به، ويجعل معه آلهة أخرى، ويجعل له أندادًا قبل الرسول، ويثبت أن هذه الأسماء مقدّم عليها».

قال تعالى [النمل ٤٣]:

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾

فألحقَها بالقوم الكافرين قبل بلوغ الرسالة وقبل أن يرسل إلى ملكتهم بلقيس كتاب سليمان عليه السلام.

قال تعالى [النحل ٢٥]:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾

فأخبَر الله أن من أضلّ الناس بغير علمٍ يحمل وزرهم يوم القيامة، فدلّ على أن الجاهل له أوزار وهو مكلّف غير معذور، خلافًا لما يقوله الجهميّة أن الجهل مانع من التكليف، ويدلّ عليه ما روي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنْقُص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا يَنْقُص ذلك من آثامهم شيئًا».



قال تعالى [الحج ٧١]:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

فمن عبد غيره من الأرباب والطواغيت جهلًا سمّاه الله ظالمًا وليس معذورًا؛ دلالة أن الشرك قرين الجهل.
قال السمعاني: «قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، أي: حجّة، وقوله: ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾، يعني: أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهلٍ لا عن علم، وقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، أي: مانع من العذاب».
وقال أبو حفص سراج الدين الدمشقي: «﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾، حجة، ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾، عن جهل وليس لهم به دليل عقليّ فهو تقليد وجهل، والقول الذي هذا شأنه يكون باطلًا، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾، أي: وما للمشركين من نصيرٍ مانعٍ يمنعهم من عذاب الله».

قال تعالى [العنكبوت ٨]:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قال السمعاني: «وقوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، إنما قال هذا لأن الشرك كله عن جهل، فإن العالِم لا يشرك بالله».

قال تعالى [الزمر ٦٤]:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾

قال حرب الكرماني: «قلت لإسحاق: الرجُل يقول للمشرك إنه رجُلٌ عاقلٌ؟ قال: لا ينبغي أن يقال لهم؛ لأنهم ليست لهم عقول».

وهذا فيه نفي العقل وإثبات الشرك من الإمام حرب الكرماني، أي أن الجهل قرين الشرك.

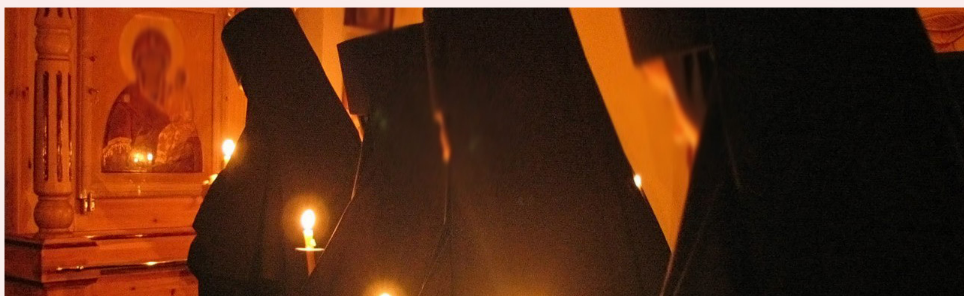
قال تعالى [الكهف ٤-٥]:

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

وقد وصَف الله النصارى بالجهل في نسبة الولد لله تعالى وتقدّس عن ذلك، ولم يكن لهم عذرٌ في ذلك.

قال البغوي: «﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾، أي: قالوه عن جهلٍ لا عن علمٍ».

ومثل ذلك قوله تعالى في مشركي قريش: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف ١٩-٢٠].



قال تعالى [الأعراف ١٧٢-١٧٣]:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

وهذه الآية أصلٌ في نفي العذر بالتقليد والجهل في الشرك بالله.

قال أبو جعفر: «يقول تعالى ذِكره: شهدنا عليكم أيها المقِرّون بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾، إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه، ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ﴾، اتّبَعنا منهاجهم، ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾، بإشراك من أشرك من آبائنا واتّبَاعنا منهاجَهم على جهلٍ منا بالحق؟ ويعني بقوله: ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾، بما فعل الذين أبطَلوا في دَعواهم إلهًا غير الله».

قال تعالى [الروم ٢٩]:

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾

قال الطبري: «اتّبَعوا أهواءهم جهلًا منهم لِحَقّ الله عليهم، فأشرَكوا الآلهة والأوثان في عبادته، ﴿فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، يقول: فمن يسدِّد للصواب من الطُّرُق، يعني بذلك من يوفِّق للإسلام من أَضَلَّ الله عن الاستقامة والرّشاد».

وفي الآية، أن الله جمَع بين الظلم -الذي هو الشرك في الآية- واتِّباع الهوى والجهل؛ فهُم قُرَناء.

قال تعالى [الشعراء ٢١٣]:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

قال السمعاني: «رُوي أن المشركين قالوا له: ارجع إلى دين آبائك، فإن أردت المال جمعنا لك المال، وإن أردت الرئاسة قلّدناك الرئاسة علينا، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾، أي: في النار».

قال تعالى [البقرة ١١٨]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

روى ابن أبي حاتم عن الربيع، عن أبي العالية، قوله: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾، قال: «هو قول كفار العرب... وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك».

وقال السمرقندي: «قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون توحيد الله تعالى، ومعناه: وقال الجهّال من الناس -وهُم الكفار-».

فسمّى الله مشركي قريش بالذين لا يعلمون، فدلّ على أن الشرك قرين الجهل.



قال تعالى [الروم ٧]:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

قال ابن عباس: «﴿ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، يعني: الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهُم في أمر الدين جهّال».

قال تعالى [الأنعام ١١١]:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

قال ابن أبي زمنين: «﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾، أي: لا يعلمون. وقوله: ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾، يعني: من ثبت على الكفر منهم».

وفيه دلالة أن الجهل قرين للشرك وليس رافعٌ له، بل يجامعه.

ومن الآيات البيّنة، أن الله قد وصف أقوام الأنبياء بالجهل والشرك، فدلّ على أن الجهل قرين الشرك.

ومما ورد في كتاب الله من ذلك، قوله تعالى في قوم شعيب: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود ٩١]. فقوم شعيب لم يفقهوا أصل دعوة شعيب ولم يُعذَروا بعدم الفقه، فأخَذَهم العذاب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود ٩٤].

وقوله تعالى في قوم نوح: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود ٢٩].

وقوله تعالى في قوم هود: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الأحقاف ٢٣].

وقوله تعالى في قوم لوط: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل ٥٥].

وقوله تعالى في قريش: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر ٦٤].

ومن الأدلة على نفي العذر، أن الله تعالى لا يَقبل العذر من المعتذرين يوم القيامة مع اختلاف المعاذير كما سبق معنا في آية الميثاق، وفي قوله: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب ٦٦-٦٨].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٢٣]، عن قتادة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾، قال: «معذرتهم».

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم ٥٧]، قال ابن أبي زمنين: «﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: المشركين ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾».

قال تعالى [الشمس ٧-١٠]:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾

قال الطبري: «يقول تعالى ذِكره: فبيَّن لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شرّ أو طاعة أو معصية».

وعن ابن عباس، قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، «يقول: بيَّن الخيرَ والشرَّ، وقال: علَّمها الطاعة والمعصية».



قال تعالى [الكهف ١٠٣-١٠٥]:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

قال الطبري: «وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن الله تعالى ذِكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضَلالًا وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك، وأخبر عنهم أنهم هُم الذين كفروا بآيات ربهم. ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة، وأن أعمالهم حابطة».

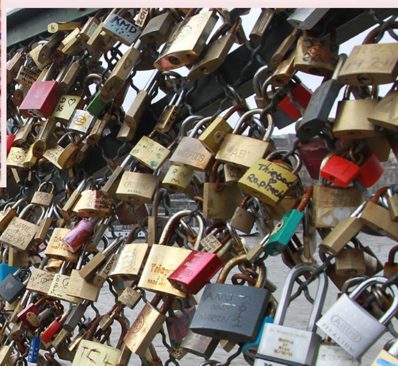
وقال ابن منده: «ذِكْرُ الدليل على أن المجتهد المخطئ في معرفة الله عزّ وجلّ ووحدانيته كالمعاند: قال الله تعالى مخبرًا عن ضلالتهم ومعاندتهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمّا سُئل عن الأخسرين أعمالًا، فقال: كفرة أهل الكتاب؛ كان أوائلهم على حقّ، فأشرَكوا بربهم عزّ وجلّ وابتدعوا في دينهم وأحدثوا على أنفسهم، فهُم يجتمعون في الضّلالة ويحسبون أنهم على هدى، ويجتهدون في الباطل ويحسبون أنهم على حقّ، ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهُم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. وقال علي رضي الله عنه: منهم أهل حروراء».

تم بحمد الله


المحكمة الدستورية
CONSTITUTIONAL COURT













رجب ١٤٤٥ هـ

الأدلة من القرآن على عدم العذر بالجهل في الشرك الأكبر

منتقى من مذكرة في العذر بالجهل



سراج الطريق

SEIRAJ.COM